

6

أثر الأئمة الضلال في حدوث البدعة في نظر علماء الشافعية

Muhammad Nur Ihsan¹

ملخص البحث (Abstrak)

قد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة في النهي عن الابتداع والتحذير منه، ومع ذلك قد وقعت البدعة في الأمة وانتشرت بين الناس سواء كان في العقيدة أو العبادة، وما أحدثت تلك البدع صدفه دون سبب، بل هناك أسباب كثيرة أدت إلى ظهور البدعة وانتشارها، ومن أعظمها الأئمة الضلال، كما ذكر ذلك علماء الشافعية وغيرهم، إذًا كيف أثر الأئمة الضلال في حدوث البدع وانتشارها بين الناس؟ فهذا البحث المتواضع محاولة في الجواب عن هذا السؤال وذلك من خلال نظر علماء الشافعية. وهذا البحث

¹Beliau adalah Ketua Kemahasiswaan dan Dosen Sekolah Tinggi Dirasat Islamiyah Imam Syafii Jember.

يعد من البحوث المكتبية التي تعتمد على المنهج الكمي (K u a n t i t a t i f) الذي يقوم بجمع أقوال علماء الشافعية من بطون مؤلفاتهم المتعلقة بهذه المسألة، وأما ما يتعلق بعرض البيانان وتقريب المعلومات للوصول إلى نتائج البحث فيستخدم المنهج الوصفي (D e s k r i p t i f) والاستقرائي (D e d u k a t i f) وتحليل المحتوى (A n a l i s a i s i). ومن خلال دراسة أقوال هؤلاء العلماء واستقراءها وتحليلها يمكن أن يلخص فيما يلي: (١) أن الأئمة الضلال من أعظم الناس ضررا على الدين، وأكبر أسباب ظهور البدعة، (٢) وهم صنفان: علماء السوء والسلطان القاهر، فعلماء السوء يعترضون على الشريعة بأرائهم الكاسدة وأقيستهم الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرّم الله ورسوله وتحريم ما أحله الله ورسوله، وأنهم قدوة للناس، فإذا استقاموا استقاموا، وإذا زلوا انحرفوا، كما يقال: إن زلة العالم زلة العالم، (٣) فالملوك الظلمة يعترضون عليها بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها ويقدمونها على حكم الله ورسوله، ولهم تأثير بالغ في أخذ الناس إلى ما يريدونه إيجابا وسلبا، كما يقال: الناس تبع ملوكهم.

مفاتيح الكلمات (Keyword): البدعة ، علماء السوء، السلطان الجائر، علماء الشافعية.

المقدمة

أولا: خلفية البحث

كما هو معلوم أن البدعة شر الأمور، وقد وردت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في النهي عنها وذم أهلها، وذلك لما في البدعة ومحدثات الأمور من المفسد الكثيرة التي تضر بالدين الحنيف، ومع ذلك كله، فمن المؤسف جدا أن ظهرت البدعة وفشت في أوساط المجتمع وكثرت وانتشرت بين الناس كانتشار النار في الهشيم. وقد أنكر العلماء من

أثر الأئمة الضلال في حدوث البدعة في نظر علماء الشافعية

شتى المذاهب البدعة وبينوا خطورتها وأسباب ظهورها وانتشارها، ومن أعظمها الأئمة الضلال، وهم صنفان: علماء السوء والسلطان القاهر الفاجر. ولعلماء الشافعية نصيب أوفر في بيان هذا الأمر، لذا لا بد من إبراز هذه المسألة للناس ليعلموا مدى عظم جهود هؤلاء العلماء في نشر السنة والدفاع عنها والنهي عن البدعة والتحذير من أهلها، وليعلم المسلمون خطورة الأئمة الضلال وأن لا يغتروا بهم، وأنهم من أعظم أسباب ظهور البدعة في الدين.

ثانيا: تحديد المسألة

لذا أرى من الأهمية بمكان تناول هذه المسألة في بحث علمي متين، وهذا البحث المتواضع يهدف إلى بيان خطورة الأئمة الضلال وأثرهم البالغ في ظهور البدعة ليكون جوابا عن السؤال المطروح في هذه المسألة، ألا وهو: كيف أثر الأئمة الضلال في حدوث البدعة وانتشارها بين الناس في نظر علماء الشافعية رحمهم الله ؟

ثالثا: منهج البحث

هذا البحث يعد من البحوث المكتبية التي تعتمد على المنهج الكمي الاستقرائي، وقمت بجمع أقوال علماء الشافعية في بيان خطورة الأئمة الضلال وأثرهم في حدوث البدعة ثم دراستها واستقرائها وتحليلها وعرضها وفق قواعد البحث العلمي.

رابعا: موضوع البحث

أولاً: تعريف البدعة لغة

البدعة مصدر للكلمة (بَدَعَ) ويجمع على (البِدَع)، وتأتي مادة هذه الكلمة في لغة العرب على معنيين، "أحدهما: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال. والآخر: الانقطاع والكلال"^١.

ومما يشهد للمعنى الأول قوله تعالى: (بديع السموات والأرض)^٢ أي: خالقها ومبتدعها ومبتدئها ومخترعها لا على مثال سبق. ومن أسماء الله الحسنى (البديع) لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كل شيء^٣. ومنه قوله تعالى: (قل ما كنت بدعا من الرسل)^٤، أي: لَسْتُ بأول رسولٍ طرق العالم بل جاءت الرسل من قبلي، فما أنا بالأمر الذي لا نظيره حتى تستنكروني وتستبعدوا بعثتي إليكم^٥.

وأما عن المعنى الثاني للبدعة -هو الكلال والانقطاع- فمما يشهد له قولهم: أُبْدِعْتُ الإبل: بركتُ في الطريق من هُزال، أو داء، أو كلال، وأُبْدِعْتُ هي: كَلَّتْ أو عَطِبَتْ. وقيل: لا

^١ أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط/١، ١٤٢٢هـ) (ص ١٠١)

^٢ سورة البقرة، آية (١١٧) وسورة آل عمران، آية (١٠١).

^٣ انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، بلا سنة) (٦/٨).

^٤ سورة الأحقاف، آية (٩).

^٥ ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (القاهرة: دار الحديث، ط/١، ١٤٠٨هـ) (١٥٧/٤).

أثر الأئمة الضلال في حدوث البدعة في نظر علماء الشافعية

يكون الإبداع إلا بظَّلَع، يقال: أبدوَعْتُ به راحلته: إذا ظَّلَعْتُ، وأبدوَع، وأبدوَع به، وأبدوَع: كَلَّتْ راحلته، أو عطيت وبقي منقطعًا به^١.

وفي المثل: "إذا طلبتَ الباطلَ أبدوَع بك"، أي: إذا طلبت الباطل لم تَظْفَر بمطلوبك، وانقطع بك عن الغرض^٢. ومنه: قول رجلٍ للنبي صلى الله عليه وسلم: ((إني أبدوَع بِئِي فاحملي)) الحديث^٣. أي: انقطع بي لكلال راحلتي^٤. يقال: أبدوَعْتُ الناقة: إذا انقطعت عن السير بكلال، أو ظلع^٥.

وهذا المعنى في الحقيقة يرجع إلى المعنى الأول، وذلك أن جعل انقطاع الناقة عمًا كانت مستمرَّةً عليه من عادة السير إبداعًا أي: إنشاء أمر خارج عمًا اعتيد منها^٦، وابتداء التعب بها بعد أن لم يكن بها من قبل، والله أعلم.

^١ انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، بلا سنة)

(٧/٨).

^٢ انظر: الميداني، أحمد بن محمد أبو الفضل، مجمع الأمثال، (بيروت: دار المعرفة) (٤٤/١)

و ابن منظور، محمد بن مكرم، الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر) (٨/٨).

^٣ رواه مسلم في صحيحه، (الأردن: بيت الأفكار الدولية، بلا سنة) (حديث رقم: ١٨٩٣).

^٤ انظر: أبو عبيد، القاسم بن سلام، غريب الحديث، (حيدرآباد الدكن الهند: مجلس دائرة

المعارف العثمانية، ط/١، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) (٩/١). وابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر) (٧/٨).

^٥ ابن الأثير، المبارك بن محمد الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (بيروت:

المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) (١٠٧/١) وانظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر) (٨/٨).

^٦ انظر: نفس المصدرين السابقين.

هذا هو أصل المعنى اللغوي لكلمة (بدع)، ومن خلاله يظهر أن أصل اشتقاق كلمة (البدعة) يطلق على الشيء الجديد في المدح أو الخير والذم أو الشر سواء كان في الدين أم في غيره^١، إلا أنه قد غلب استعمالها في الذم والحدث المكروه في الدين.

قال الإمام ابن الأثير: "وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفاً في الذم"^٢. وقال الإمام أبو شامة: (وقد غلب لفظ البدعة على الحدث المكروه في الدين، مهما أطلق هذا اللفظ، ومثله لفظ (المبتدع) لا يكاد يستعمل إلا في الذم، وأما من حيث أصل الاشتقاق فإنه يقال ذلك في المدح والذم، لأن المراد أنه شيء مخترع على غير مثال سابق، ولهذا يقال في الشيء الفائق جمالاً وجوده: ما هو إلا بدعة)^٣.

ثانياً: تعريف البدعة اصطلاحاً

قد نقلت عن أهل العلم من الشافعية وغيرهم تعريفات متنوعة وأقوال متعددة في بيان مفهوم البدعة في الاصطلاح، ومن تلكم الأقوال:

^١ انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، بلا سنة) (٧/٨) والزرکشي، بدر الدين، محمد بن بهادر، المنثور في القواعد، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط/٢، ١٤٠٥هـ) (٢١٧/١).

^٢ ابن الأثير، المبارك بن محمد الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) (١٠٧/١) وانظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر) (٦/٨).

^٣ أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، الباعث على إنكار البدع والحوادث، (بلا مدينة: دار الراجية للنشر والتوزيع، ط/١، ١٤١٠هـ) (ص ٨٦-٨٧).

أثر الأئمة الضلال في حدوث البدعة في نظر علماء الشافعية

قال الإمام الشافعي رحمه الله -مبيناً معنى البدعة الشرعية-: "ما أحدث يُخالف

كتاباً أو سنةً أو أثرًا أو إجماعًا، فهذه بدعة الضلال..."^١.

وقال الإمام الخطابي (ت ٣٨٨هـ) في شرحه لحديث: (كل محدثة بدعة): "...وكل شيء

أحدث على غير أصل من أصول الدين، وعلى غير عياره وقياسه، وأما ما كان منها مَبْنِيًّا على

قواعد الأصول ومردود إليها فليس ببدعة ولا ضلالة"^٢.

وقال الإمام أبو القاسم قوام السنة (ت ٥٣٥هـ): "ما لا أصل له في الكتاب والسنة

ولا أجمعت عليه الأمة فهو مُحَدَّث، داخل في قوله صلى الله عليه وسلم: ((من أحدث في

أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))"^٣ ٤.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): "والمحدثات -بفتح الدال- جمع

محدثة، والمراد بها: ما أحدث وليس له أصل في الشرع، ويسمى في عرف الشرع بدعة، وما

^١ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، مناقب الشافعي، (القاهرة: مكتبة دار التراث ط/١،

١٣٩١هـ) (٤٦٨-٤٦٩/١) وانظر: ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الدمشقي، جامع العلوم والحكم في

شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، (بلا مدينة: دار ابن الجوزي، ط/١، ١٤١٥هـ) (١٢٢/٢).

^٢ الخطابي، أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم، معالم السنن، (بيروت: المكتبة العلمية،

ط/٢، ١٤٠١هـ) (٣٠١/٤).

^٣ رواه البخاري، محمد بن إسماعيل، في صحيحه (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول

الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) ترقيم/ محمد فؤاد عبد الباقي، (ط/ المطبعة السلفية) (رقم:

٢٦٩٧) ومسلم في صحيحه (الأردن: بيت الأفكار الدولية: بلا سنة) (رقم: ١٧١٨).

^٤ أبو القاسم، قوام السنة، إسماعيل بن محمد التيمي، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة

أهل السنة، (دار الراجعية للنشر والتوزيع) (٣٨٤/٢).

كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة. فالبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة، فإن كلَّ شيء أحدث على غير مثال يسى بدعة، سواء كان محمودًا أو مذمومًا^١.

هذه بعض أقوال العلماء في تعريف البدعة اصطلاحاً، وهي وإن كان بينها اختلاف في الألفاظ، إلا أن فحواها ومضمونها واحدٌ، وهو ذم البدع في الدين مطلقاً، إذ ليس في الشرع بدعة حسنة كما بين ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم: "كل بدعة ضلالة". وهذا بخلاف مفهوم البدعة في اللغة فإنها تشمل كل ما أحدث على غير مثال سابق سواء كان محموداً أو محموداً.

ويمكن أن يستخلص من الأقوال السابقة تعريف البدعة اصطلاحاً في عبارة آتية: "البدعة كل ما أحدث في الدين مما يخالف الكتاب والسنة والإجماع وما كان عليه سلف الأمة وقواعد الشريعة سواء كان في الاعتقادات أو العبادات". والله أعلم.

ثالثاً: أثر الأئمة الضلال في حدوث البدعة في نظر علماء الشافعية

كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف كثيراً على أمته من هذا الصنف من الناس،

^١ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (بلا مدينة: المكتبة السلفية، بلا سنة) (٢٥٣/١٣) ونحوه في (٢٥٣/٤).

أثر الأئمة الضلال في حدوث البدعة في نظر علماء الشافعية

فقال صلى الله عليه وسلم: ((إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين))^(١)، أي: "أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف: الأئمة المضلون"^(٢)، وذلك لما لهم من تأثير بالغ في فساد الدين وإيقاع الناس في الهلاك والضلال.

الأئمة المضلون هم صنفان: علماء السوء. والسلطان القاهر؛ يقول المناوي عند شرحه للحديث السابق: "جميع أئمة الضلال: أئمة العلم، والسلطان"^(٣). فالملوك الظلمة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها ويقدمونها على حكم الله ورسوله؛ وعلماء السوء يعترضون عليها بأرائهم الكاسدة وأقيستهم الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرّم الله ورسوله وتحريم ما أباحه، ونحو ذلك^(٤).

ولله درّ الإمام ابن المبارك رحمه الله إذ يقول:

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٥٠/٤-٤٥١) (ج:٤٢٥٢) والترمذي في سننه (٤٣٧/٤) (ج:٢٢٢٩) وغيرهما من حديث ثوبان رضي الله عنه. قال الترمذي: (حديث حسن صحيح) وقال الشيخ الألباني: (إسناده صحيح على شرط مسلم). السلسلة الصحيحة (١١٠/٤).

(٢) انظر: النووي، أبو زكريا، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت: دار إحياء التراث العربي -، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ) (٦٤/١٨).

(٣) المناوي، زين الدين، عبد الرؤوف بن تارج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ) (٥٦٣/٢).

(٤) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، بلا سنة) - (ص ٢٣٥)

وهل أفسدَ الدِّينَ إلا الملوئُ وأحبارُ سوءٍ ورُهبانُها^(١).

١- علماء السوء ومشاركتهم في فعل البدعة وسكوتهم عن إنكارها.

قبل الشروع في بيان مدى آثار علماء السوء في حدوث البدعة وانتشارها، أود الإشارة هنا إلى أن العلماء على ضربين: أحدهما: أئمة الهدى والدلالة. والثاني: أئمة الردى والضلالة. فأما أئمة الهدى فهم المتبعون للكتاب والسنة والتمسكون بآثار سلف الأمة الذين أمروا بالافتداء بهم، وإلهم أشار الله تعالى في قوله: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) [السجدة: ٢٤].

وأما أئمة الضلالة: فهم الذين أسسوا بخلاف الكتاب والسنة طريقاً، وأحدثوا في الإسلام حدثاً، ويدعوا الناس إلى مخالفة السنة، ويتكلمون في أمر المعتقدات بآرائهم، ويقيسون الدين بأهوائهم، ويتركون الاقتداء بالسلف الصالح، ولم يعرف شيوخيهم باتباع الآثار^(٢)، وإلهم أشار الله تعالى في قوله: (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون) [القصص: ٤١].

(١) انظر: الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط

(بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م) (٢١٣/١٢)

(٢) انظر: السلماسي، أبو زكريا يحيى بن إبراهيم، كتاب منازل الأئمة الأربعة، تحقيق/ محمود عبد الرحمن قدح (ص ٨٥-٩٠) والسجزي، عبيد الله بن سعيد، رسالة إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر

أثر الأئمة الضلال في حدوث البدعة في نظر علماء الشافعية

لا يخفى ما للأئمة الضلال من تأثير بالغ في حدوث البدعة وانتشار الضلالات بين المجتمع، بل إنما أتى الناس من قبل هذا الصنف من العلماء، ولهذا قيل: إن زلة العالم زلة العالم، وقيل أيضاً: زلة العالم يضرب بها الطبل.

وذلك أن "الإمام في العلم قد يقع في شبهة ويعتريه زلة فيضل بهوى أو بدعة فيتبعه عوام المسلمين تقليدًا، ويتسامح بمتابعة هوى، أو يتهافت على حطام الدنيا من أموال السلطان، أو يرتكب معصية فيغترّبه العوام"^(١) ويظنون أنها من الطاعات، أو يفعل بدعة من البدع فيقولون هذه سنة من السنن المشروعات، فيقعون بذلك في الضلال والبدعة. لذا وردت النصوص الشرعية والآثار السلفية في التحذير من علماء السوء وبيان خطرهم على الإسلام والمسلمين.

وقد بَوَّبَ الإمام الخطابي في كتابه (العزلة) باباً في التحذير من علماء السوء، فقال: "باب في فساد الخاصة، وما جاء في علماء السوء وذكر آفاتهم) ثم ذكر تحته بعض الأحاديث والآثار السلفية في التحذير منهم وذكر آفاتهم، ومنها: حديث: ((إن الله لا يقبض

الحرف والصوت، تحقيق/ د. محمد باكريم، (المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م)، (ص ٢٠٦-٢١٦).

(١) المناوي، زين الدين، عبد الرؤوف بن تارج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ) (٥٦٣/٢).

العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤوساً جُهَّالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علمٍ، فضلوا وأضلوا))^(١)؛

ثم قال: (قد أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آفة العلم ذهاب أهله، وانتحال الجهال وتروؤسهم على الناس باسمه، وحذرَّ الناس أن يقتدوا بمن كان من أهل هذه الصفة، وأخبر أنهم ضلال مضلون، وأنذر به صلى الله عليه وسلم في حديث آخر – ثم ساق بسنده عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: ((إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل))^(٢) ثم قال: يريد –والله أعلم- ظهور الجهال المنتحلين للعلم، المترئسين على الناس به قبل أن يتفقهوا في الدين ويرسخوا في علمه)اه^(٣).

كما بوب الإمام نصر المقدسي في كتابه (الحجة على تارك المحجة) باباً في التحذير من علماء السوء وبيان صفاتهم، فقال: (باب التحذير من علماء السوء، ممن ترك كتاب

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب كيف يقبض العلم (رقم: ١٠٠) ومسلم في صحيحه، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل (رقم: ٢٦٧٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب العلم (مع الفتح ١٧٨/١) (ح: ٨١) ومسلم في كتاب العلم (ح: ٢٦٧١) واللفظ له، ولفظ البخاري: (أن يقلَّ) بدل (أن يرفع). قال الحافظ: "يحتمل أن يكون المراد بقلته أول العلامة، ويرفعه آخرها، أو أطلقت القلة وأريد بها العدم، كما يطلق العدم ويراد به القلة، وهذا أليق لاتحاد المخرج)اه الفتح (١/١٧٩).

(٣) الخطابي، أبو سليمان، محمد بن أحمد، العزلة، (القاهرة: المكتبة السلفية، الطبعة الثانية، ١٣٩٩م) (ص ٨٢-٨٣).

الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واعتمد على رأيه، وجلب الناس بمنطقه وتزين لهم بعلمه وزهده، وتصنع بقراءته وتعبُّده، وما يصدُّون بذلك عن الحق، ويقطعون عن الخير، ويمنعون من طلب العلم^(١). ثم أورد رحمه الله تحته بعض الأحاديث والآثار السلفية في التحذير منهم، ومنها حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً: ((إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان))^(٢). ومعنى (منافق عليم اللسان) "أي: عالم للعلم منطلق اللسان به، لكنه جاهل القلب والعمل، فاسد العقيدة، يغرّ الناس بشقشقة لسانه، فيقع بسبب اتباعه خلق كثير في الزلل"^(٣)، والله أعلم.

وقال الإمام أبو شامة في معرض حديثه عن المفاصد المترتبة على مشاركة العالم في فعل صلاة الرغائب المبتدعة- قال: (إن الرجل العالم المقتدى به، المرموق بعين الصلاح،

(١) المقدسي، أبو الفتح نصر بن إبراهيم، مختصر الحجة على تارك المحجة، تحقيق/ محمد بن إبراهيم هارون، (الرياض: أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٢٠٥م (٥٧٠/٢)).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٢/١، ٤٤) وابن بطة في الإبانة (كتاب الإيمان) (٧٠٢-٧٠١/٢) من طريق ديلم بن غزوان، ثنا ميمون الكردي، عن أبي عثمان النهدي عن عمر بن الخطاب به. قال الحافظ الذهبي: (هذا حديث مقارب الإسناد ولم يخرجوه في الكتب الستة، وميمون فيه لين، وقد قال يحيى بن معين: "لا بأس به"، وديلم صدوق، تابعه على الحديث الحسن بن أبي جعفر). السير (٤٤٥/١١). وقال الشيخ الألباني: (إسناده صحيح، ميمون الكردي وثقه أبو داود وابن حبان - ثم ذكر قول ابن معين السابق- ثم قال: وفي رواية: "صالح"). السلسلة الصحيحة (١١/٣) حديث (رقم: ١٠١٣).

(٣) المناوي، زين الدين، عبد الرؤوف بن تارج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ) (٢٨٦/١) حديث رقم: (٣٠٧).

إذا فعلها كان مُوهماً للعامّة أنّها من السنن كما هو الواقع، فيكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان الحال، ولسان الحال قد يقوم مقام لسان المقال^(١)، وأكثر ما أُتِيَ الناس في البدعة بهذا السبب، يظنُّ في شخص أنه من أهل العلم والتقوى وليس هو في نفس الأمر كذلك، فيرمقون أقواله وأفعاله فيتبعونه في ذلك فتفسد أمورهم^(٢).

ولهذا ذكر الشيخ تقي الدين الحصري أن سبب وقوع أكثر الصوفية في زمانه في البدعة والضلال والانحراف عن الكتاب والسنة، "طائفة وسموا أنفسهم بأنهم حملة الشريعة، وهم يُقام الدين، غلبت عليهم الشهوة، فسكتوا عما أمر الله بإظهاره من الآيات البيّنات، واشتروا به ثمناً قليلاً^(٣)".

كما بين الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي رحمه الله أن سبب انتشار البدع والضلالات ورواجها في العالم الإسلامي هو بعض علماء السوء وأرباب الطرق الصوفية الذين أرادوا التّرس على العوام من أجل نيل الحطام، فلذا أصبحوا دعاة لكثير من تلك

(١) انظر: العزّين عبد السلام، رسالة (الترغيب عن صلاة الرغائب) تحقيق/ إياد خالد الطباع،

بيروت: دار الفكر المعاصر، ودمشق: دار الفكر، ط/الأولى، عام ١٤٢٢هـ (ص ٢٨-٢٩).

(٢) أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، الباعث على إنكار البدع والحوادث، (بلا مدينة: دار

الراية للنشر والتوزيع، ط/١، ١٤١٠هـ) (ص ١٧٥-١٧٨).

(٣) انظر: البقاعي، برهان الدين، إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر، تحقيق/ سليمان

بن مسلم الحرش، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط/الأولى، عام ١٤٢١هـ) (ص ٨٩-٩٠).

أثر الأئمة الضلال في حدوث البدعة في نظر علماء الشافعية

البدع، يروجونها بدعاياتهم الخلابه، ويلبسونها تارة ثوب ذكر الله والتفاني فيه، وأخرى في حب الرسول صلى الله عليه وسلم، وحيناً يسبكونها في قوالب حب الصالحين والأولياء المقربين، وقد يموهون على البسطاء بشيء من الخوارق التي مصدرها دجلٌ وشعوذة^(١).

وبهذا يظهر بعض صفات علماء السوء ومدى خطورتهم في إفساد الدين وتأثيرهم

البالغ في تغيير معاملته، وتشويهه محاسنه؛ والله المستعان.

٢- السلطان القاهر وأخذه بالبدعة أو سكوته عنها

لا شك أن لأهل السلطة تأثيراً بالغاً في حمل الناس على ما يشتهون من آراء ومبادئ وعادات ما ليس لغيرهم من التأثير، وذلك "أن السلطان إذا ضلَّ عن العدل، وبأين الحق تبعه العوام خوفاً من سلطانه، وطمعاً في جاهه"^(٢)، وكما قيل: الناس على دين ملوكهم. ولهذا ما انتشرت البدع الكلامية والطرق الصوفية وغير ذلك من الفرق المنحرفة في بلاد المسلمين إلا بسبب قوة السلطان وتأيدته لها، وتمكينه لأهل البدع والأهواء من ممارسة بدعهم ونشر ضلالاتهم، ولهذا يقول الإمام اللالكائي رحمه الله: "ومقالة أهل البدع لم تظهر إلا بسلطان قاهر، أو بشيطان معاند فاجر، يضلُّ الناس خفيّاً ببدعته، أو يقهر ذاك

(١) انظر: آل بوطامي، أحمد بن حجر، تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين، (قطر

: طبع بمطابع علي بن علي - الدوحة، بلا سنة) (ص ٥).

(٢) المناوي، زين الدين، عبد الرؤوف بن تارج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير،

(مصر: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ) (٥٦٣/٢).

بسيفه وسوطه، أو يستميل قلبه بماله ليضله عن سبيل الله حمية لبدعته، وذنبًا عن ضلالته، ليردّ المسلمين على أعقابهم، ويفتنهم عن أديانهم، بعد أن استجابوا لله وللرسول طوعًا وكرهًا، ودخلوا في دينهما رغبة أو قهراً، حتى كملت الدعوة واستقرت الشريعة"^(١).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الإمام المقرئ^(٢) أن سبب انتشار مذهب الأشعري في عهد الدولة الصلاحية هو أن السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري^(٣)، وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر، فاستمر

(١) اللالكائي، أبو القاسم، هبة الله بن الحسن، مقدمة شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق/ أحمد بن سعد الغامدي، (السعودية: دار طيبة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣ م) (١/١٤-١٥).

(٢) هو تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني، العبيدي، البعلبكي الأصل، المصري المولد والدار والوفاء، الحنفي ثم الشافعي، المعروف بابن المقرئ، مؤرخ، محدث، مشارك في بعض العلوم. ولد سنة (٧٦٦هـ) وتوفي سنة (٨٤٥هـ). من مؤلفاته: تجريد التوحيد المفيد، والمواظ والاعتبار المشهور بالخطط المقرئية، وغير ذلك.

انظر: ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق/ د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر، عام ١٩٦٩ م (١٧٠/٩-١٧٢) ومقدمة كتاب "التجريد المفيد".

(٣) أي: العقيدة التي كان عليها في طوره الثاني، وهي عقيدة الكلابية، وإليها انتسبت الأشاعرة اليوم، وأما في طوره الثالث فقد رجع الإمام أبو الحسن الأشعري إلى عقيدة السلف الصالح رحمهم الله التي كان عليها الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة، كما صرح بذلك رحمه الله في أول كتابه (الإبانة في أصول الديانة) حيث قال: (قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا، وما روي عن الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون. وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل -نصر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قوله مخالفون...)، والله أعلم.

الحال على عقيدة الأشعري بديار مصر وبلاد الشام وأرض الحجاز واليمن، وبلاد المغرب أيضاً، لإدخال محمد بن تومرت^(١) رأي الأشعريّ إليها، حتى إنه صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد، بحيث إن من خالفه ضُرب عنقه، والأمر على ذلك إلى يوم الإمام المقرئ المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ^(٢). وقال رحمه الله في موضع آخر: "فلذلك صارت دولة الموحّدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت، إذ هو عندهم الإمام المعلوم، المهديّ المعصوم، فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لا يُحصيها إلاّ الله خالقها سبحانه وتعالى، كما هو معروف في كتب التاريخ، فكان هذا هو السبب في اشتها مذهب الأشعريّ وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نُسي غيره من المذاهب وجُهل، حتى لم يبق اليوم مذهب يُخالفه، إلاّ أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات، إلى أن كان بعد السبعمائة من سني الهجرة، اشتهر بدمشق وأعمالها تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحكم بن عبد السلام بن تيمية الحرّاني، فتصدّى

(١) هو محمد بن عبد الله بن تومرت، الملقب المهدي المعمودي المغربي، كان يعرف الفقه على مذهب الشافعي، وينصر الكلام على مذهب الأشعري، وكان يبطن شيئاً من التشيع، ادعى لنفسه المهدي، وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٣٩/١٩) وابن السبكي، طبقات الشافعية الكبرى (١٠٩/٦).

(٢) انظر: المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (بيروت: دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ) (٣٤٣/٢).

للاتنصار لمذهب السلف، وبالغ في الردّ على مذهب الأشاعرة، وصدع بالنيكير عليهم وعلى الرافضة، وعلى الصوفية^(١).

فتبيّن من هذا الكلام مدى أثر السلطان القاهر ودوره البالغ في ظهور البدع والأخذ بها وانتشارها بين العامة، كما تبيّن أيضاً مدى عظم فضل الله على هذه الأمة بظهور هذا الإمام المجدّد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث جدّد ما اندرس من معالم السنة، وأظهر للناس مذهب سلف الأمة وانتصر له، وقام بالرد على جميع الفرق الهالكة في ذلك العصر بكل ما أوتي من أدلة نقلية وحجج عقلية، ولا يخاف في ذلك لوم لائم، فجراه الله عن أهل السنة خير ما جزي به نبياً عن أمته، وأدخله فسيح جناته، والله ولي ذلك والقادر عليه.

رابعاً: الخاتمة

ومما تقدم بيانه يمكن استخلاص الفوائد المستفادة من البحث في النقاط التالية : (١) أن البدعة كلها ضلالة ليس منها شيء حسن، (٢) وجوب الحذر من البدعة كلها وجميع الأسباب المؤدية إليها، (٣) خطر الأئمة المضلين في إفساد الدين والدنيا، (٤) العلماء على قسمين: علماء الهدى، وهم المتبعون للكتاب والسنة والمتمسكون بأثر سلف الأمة. وعلماء

(١) المقرئزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (بيروت:

دار الكتب العلمية - الطبقة الأولى، ١٤١٨ هـ) (٢/٣٥٨-٣٥٩).

أثر الأئمة الضلال في حدوث البدعة في نظر علماء الشافعية

السوء، وهم الذين خالفوا الكتاب والسنة، وتركوا انتحال مذهب سلف الأمة، واعتمدوا على العقل فحسب واتبعوا أهوائهم. (٤) إن أعظم أسباب رفع العلم موت أهله، (٥) عظم آثار علماء سوء في إفساد الدين، وظهور البدعة، لأنهم قدوة للناس، وهم يتبعون أقوالهم ويرمقون أحوالهم وأفعالهم، فإذا استقاموا استقاموا، وإذا زلوا انحرفوا، كما يقال : إن زلة العالم زلة العالم، (٥) عظم خطر السلطان القاهر الجائر في إفساد الدين وظهور البدعة. لما لهم من تأثير بالغ في أخذ الناس إلى ما يريدونه إيجابا وسلبا، وكما يقال : الناس تبع لملوكهم.

المراجع

أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، اعتنى به: د. محمد عوض مرعب، بيروت: دار

إحياء التراث العربي ، ط/ الأولى ١٤٢٢هـ

ابن منظور، لسان العرب، بلا مدينة: دار صادر، بلا سنة.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، القاهرة: دار الحديث ،

ط/ الأولى، عام ١٤٠٨هـ

القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن

العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي،

بيروت: دار إحياء التراث العربي - بلا سنة.

أبو عبيد، القاسم بن سلام، غريب الحديث، طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية

الهندية تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان، أستاذ آداب اللغة

العربية بالجامعة العثمانية، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف

العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند سنة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م

أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، الباعث على إنكار البدع والحوادث، تحقيق/

مشهور حسن سلمان، بلا مدينة: دار الراجعية للنشر والتوزيع، ط/ الأولى، عام

١٤١٠هـ

أثر الأئمة الضلال في حدوث البدعة في نظر علماء الشافعية

البيهقي، مناقب الشافعي، تحقيق/ السيد أحمد صقر، القاهرة: مكتبة دار التراث، ط/

الأولى، عام ١٣٩١هـ.

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بلا مدينة: المكتبة السلفية، بلا

سنة.

-----، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق/ د. حسن حبشي، مصر: المجلس الأعلى

للشؤون الإسلامية، عام ١٩٦٩م.

الخطابي، أبو سليمان، معالم السنن، بيروت: المكتبة العلمية، ط/ الثانية، عام ١٤٠١هـ

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من حديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، بلا مدينة: المطبعة السلفية.

ترقيم/ محمد فؤاد عبد الباقي، بلا سنة.

أبو القاسم التيمي، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق/ محمد بن

ربيع المدخلي، ومحمد محمود أبو رحيم، بلا مدينة: دار الراية للنشر والتوزيع،

بلا سنة.

السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، إعداد وتعليق/ عزت عبید الدعاس

وعادل السيد، حمص سورية: دار الحديث، ط/ الأولى، سنة ١٣٩٤هـ

آل بوطامي، تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين، الدوحة، قطر: طبع بمطابع

علي بن علي، بلا سنة.

السبكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق/ محمود محمد الطنّاحي

وعبد الفتاح محمد الحلّو، بلا مدينة: بلا طبعة، بلا سنة.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط/

التاسعة، سنة ١٤١٣هـ

ابن بطة، عبد الله بن محمد العكبري، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق

المذمومة، تحقيق/ رضا بن نعيان معطي وآخرون، بلا مدينة: دار الراية

للنشر والتوزيع، ط/ الثانية، سنة ١٤١٥هـ

اللالكائي، هبة الله بن الحسن، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق/

الدكتور أحمد بن سعد الغامدي، الرياض: دار طيبة، ط/ الثانية، سنة

١٤١٥هـ

العز بن عبد السلام، رسالة في ذم صلاة الرغائب ورسالة في رد جواز صلاة الرغائب،

تحقيق/ إياد خالد الطباع، بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر، ودار الفكر،

ط/ الأولى، عام ١٤٢٢هـ

البقاعي، إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر، تحقيق/ سليمان بن مسلم الحرش،

الرياض: مكتبة العبيكان، ط/ الأولى، عام ١٤٢١هـ

المقدسي أبو الفتح نصر، مختصر الحجة على تارك المحجة، تحقيق/ الدكتور محمد

إبراهيم محمد هارون، الرياض: أضواء السلف ، ط/ الأولى، عام ١٤٢٥هـ

أثر الأئمة الضلال في حدوث البدعة في نظر علماء الشافعية

الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، المنثور في القواعد، تحقيق/ تيسير فائق أحمد

محمود، الكويت: وزارة الأوقات والشؤون الإسلامية، ط/ الثانية، سنة

١٤٠٥هـ

النووي، أبو زكريا، يحيى بن شرف، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، القاهرة: دار

الريان للتراث، ط/ الأولى، عام ١٤٠٧هـ

المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، بيروت: دار

المعرفة للطباعة والنشر، بلا سنة.

ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق/ عبد المحسن التركي، بيروت:

مؤسسة الرسالة، بلا سنة.

السجزي، أبو نصر عبد الله، رسالة إلى أهل زبيد في الرد على من أنكروا الحرف والصوت،

تحقيق/ الشيخ الدكتور محمد باكريم، الربوة: دار الراية، ط/ الأولى،

١٤١٤هـ

الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من حكمها وفوائدها،

الرياض: مكتبة المعارف، بلا سنة.

المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وضع حواشيه/ خليل المنصور، بيروت:

دار الكتب العلمية، ط/ الأولى، سنة ١٤١٨هـ

السلامسي، أبوزكريا يحيى بن إبراهيم، كتاب منازل الأئمة الأربعة، تحقيق/ د. محمود عبد الرحمن قدح، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية – الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٢م.

ابن الأثير، المبارك بن محمد بن الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، بيروت : المكتبة العلمية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

الميداني، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، تحقيق/ معي الدين عبد الحميد، بيروت: دار المعرفة ، بلا سنة.